الجزء الثاني

التحدي الراهن

تفكيك »رأسمالية المراقبة «في ضوء النموذج النفسي الاستخلافي

تمهيد الجزء الثاني

بعد أن أسسنا في الجزء الأول لفهم بنية النفس الإنسانية في ضوء النموذج الاستخلافي — الهرم النفسي الثلاثي والأضلاع الثمانية للقوى النفسية ننتقل في هذا الجزء إلى تشخيص التحدي الأكبر الذي يواجه الإنسان المعاصر في سعيه لتحقيق استخلافه :منظومة »رأسمالية المراقبة «التي تحولت — فيها التكنولوجيا من أداة في خدمة الإنسان إلى قوة مستقلة تُعيد تشكيل وعيه وسلوكه وهويته)الزراع، ص .42، 55، 57(.

لم تعد الخوارزميات مجرد أدوات محايدة نستخدمها لإنجاز مهامنا، بل أصبحت قوى فاعلة في الحقل النفسي، تستهدف مباشرةً بنية النفس كما وصفها يجب استنزاف وقته واهتمامه وبياناته .هذا (User) «القرآن .إنها لا تتعامل مع الإنسان بوصفه »خليفةً «مكرَّماً، بل بوصفه »مستخدماً .التحول في النظرة إلى الإنسان هو جوهر الأزمة)الزراع، ص .56، 78(

:يحلل هذا الجزء التحدي الرقمي عبر ثلاثة فصول مترابطة

- **الفصل الرابع — الخوارزمية كقرين رقمي**: كيف تستهدف التكنولوجيا »النفس الأمارة «وتفخخ أضلاع الهرم النفسي، مستلهمةً المفهوم القرآني للقرينية.)الزراع، ص .42، 56، 78(
- **.الفصل الخامس — استعمار الانتباه**: تحويل التجربة الإنسانية إلى مادة خام وبيع »اليقين السلوكي «على حساب الحرية الإنسانية.)الزراع، ص 55، 57)
- **الفصل السادس — الفصام الأخلاقي الرقمي**: أزمة العيش بين معايير الوحي وقوانين الفضاء السيبراني المادية.)الزراع، ص .653، 1015(

هذا التحليل ليس ترفاً فكرياً بل ضرورة منهجية .أي محاولة لاستعادة الاستخلاف **لا يمكن أن تنجح** دون فهم دقيق لطبيعة التحدي الرقمي وكيفية تفكيكه من جذوره انطلاقاً من الرؤية القرآنية للإنسان.

الفصل الرابع

الخوارزمية كقرين رقمي

استغلال نقاط الضعف الداخلية في النفس

4.1 مفهوم »القرين «في القرآن الكريم

قبل أن نحلل الخوارزمية، لا بد من استحضار المفهوم القرآني للـ»قرين .«القرين هو الرفيق الملازم، القوة الخارجية التي تستهدف نقاط الضعف في النفس وتعمل على توجيهها نحو الانحراف)الزراع، ص .42(:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

سورة ق :27

القرين هنا يعترف بأنه لم يُطغِ الإنسان قسراً، بل استغل ما فيه من استعداد للضلال .إنه يعمل وفق منطق »استغلال نقاط الضعف «لا »خلقها من العدم .«وهذا بالضبط ما تفعله الخوارزميات الرقمية.

> *"القرين هو الشيطان الموكل به، وهو شاهد على نفسه أنه ما أطغاه، أي ما أضله قهراً، وإنما كان ذلك باستدعاء من نفسه واختياره، فالقرين دعاه إلى الغي وأراده منه، والنفس كانت قابلة لذلك ضعيفة المقاومة"*
>
> *ابن القيم الجوزية، الشفاء العليل، ص .145 —*

في العصر الرقمي، يمكن القول إن »الخوارزمية «تؤدي وظيفة شبيهة :إنها لا تخلق في النفس رغبات لم تكن موجودة، بل تستغل الرغبات الموجودة وتضخّمها، وتعيد توجيهها، وتجعل من الصعب مقاومتها .إنها **قرين رقمي** يعمل وفق نفس المنطق :تحديد نقطة الضعف واستغلالها بلا هوادة)الزراع، ص .42، 56(.

القرين الرقمي :الخوارزمية بوصفها قوة خارجية تستغل نقاط الضعف الداخلية في النفس، وتوجّه السلوك بطرق خفية نحو الاستهلاك والإدمان، دون أن تُنشئ رغبات جديدة بل تضخّم الموجود منها وتوجّهه.

4.2 رأسمالية المراقبة :الإطار النظري العام

4.2.1 تعريف المفهوم

لوصف مرحلة جديدة (Surveillance Capitalism) «مفهوم »رأسمالية المراقبة (Shoshana Zuboff) صاغت الباحثة شوشانا زوبوف (Zuboff، 2019) من الرأسمالية حيث تتحول التجربة الإنسانية الخام إلى بيانات سلوكية تُستخدم للتنبؤ بالسلوك وتوجيهه وتعديله لصالح أرباح الشركات.

> *"رأسمالية المراقبة تدّعي التجربة الإنسانية الخام كمادة مجانية تحوّلها إلى بيانات سلوكية .هذه البيانات تُستخدم ليس فقط لفهم السلوك، بل لتعديله وتشكيله وفق مصالح تجارية وسياسية"*
>
> *— Shoshana Zuboff, L'âge du capitalisme de surveillance (trad. fr.)، ص. 8*

:تحدد زوبوف ثلاث خصائص جوهرية لهذه المنظومة الجديدة

1. **الاستيلاء على التجربة الإنسانية**: تحويل كل نشاط بشري — بحث، تصفح، تواصل، حركة، مشاعر — إلى مادة خام تُستخرج وتُحول إلى بيانات.
2. **التنبؤ والتعديل**: استخدام هذه البيانات لبناء نماذج تنبؤية دقيقة، ثم توظيف هذه النماذج لتوجيه سلوك المستخدمين نحو أهداف محددة.
3. **عدم التماثل في المعرفة**: الشركات تعرف عن المستخدم أكثر مما يعرفه عن نفسه، وتستخدم هذه المعرفة لصالحها بينما يبقى المستخدم في الظلام.

4.2.2 من »الأداة« إلى »القوة الفاعلة«

التحول الجوهري في رأسمالية المراقبة أن التكنولوجيا لم تعد مجرد أداة في يد الإنسان، بل أصبحت قوة فاعلة في الحقل النفسي (الزراع، ص. 55).

المستخدم يعيش اليوم حالة من »الحرية الموجهة :«توجّهه الخوارزمية نحو ما تشاء أن يراه، وتؤثر في وعيه وسلوكه دون أن يشعر بالتوجيه .وهذا ما يقرب الخوارزمية من مفهوم »القرين :«قوة خارجية تستهدف نقاط الضعف الداخلية وتوجّه السلوك من الداخل، عبر تشكيل الرغبات والميول نفسها.

4.3 كيف تستهدف الخوارزمية »النفس الأمارة«؟

4.3.1 منطق الدوبامين واستغلال الشهوة

في النموذج الهرمي القرآني، »النفس الأمارة بالسوء «هي المستوى الذي تنقاد فيه النفس للشهوات والنزوات الآنية .والخوارزميات الرقمية مُصمَّمة بدقة (الزراع، ص. 42، 56). الخوارزميات تعمل وفق منطق (Économie d'attention) «لاستغلال هذا المستوى عبر ما يُعرف بـ»اقتصاد الانتباه (Intermittent reward) «الدوبامين — المادة الكيميائية التي يُفرزها الدماغ عند التوقع والمكافأة — لتخلق »دورات مكافأة متقطعة (cycles تجعل المستخدم يدمن التحقق من هاتفه والتمرير اللانهائي.

> *"التكنولوجيا الرقمية مُصمَّمة بعناية لتكون إدمانية — فهي تستغل ضعف إرادة الإنسان لصالح أرباح الشركات"*
>
> *— Adam Alter, Irrésistible (trad. fr.)، ص. 10*

هذا المنطق يتقاطع مباشرةً مع ما أسماه القرآن »الفجور «في الفطرة)الزراع، ص .5، 6(.الفجور هو الانسياق مع الشهوات والنزوات الآنية على حساب القيم والغايات الكبرى .والخوارزمية لا تصنع الفجور من العدم، بل **تستغله وتضخّمه وتجعله نمط حياة**.

4.3.2 استهداف الأضلاع الثمانية

الخوارزمية تستهدف الأضلاع الثمانية التي حددناها في الفصل الثالث بطريقة منهجية)الزراع، ص .41، 78(.الجدول التالي يكشف كيف يتم ذلك:

آلية الاستهداف الخوارزمي	الضلع
التصميم الإدماني، التمرير اللانهائي، المحتوى المثير	إفراط الشهوة
المحتوى الاستفزازي، الأخبار المثيرة للغضب، خطاب الكراهية)لأن الغضب يزيد التفاعل(	إفراط الغضب
الفيديوهات القصيرة، المحتوى السطحي، منع التفكير العميق	تفريط العقل
الجدل العقيم، النقاشات الدائرية التي لا تفضي إلى نتيجة	إفراط العقل
استهداف مشاعر الظلم المفرط لتوليد التفاعل والانقسام	إفراط العدل
نشر ثقافة »لا حكم «التي تُضعف القدرة على التمييز الأخلاقي	تفريط العدل

هذا التحليل يُظهر أن الخوارزمية تستهدف تحديداً الأضلاع التي **تُبقي الإنسان في مستوى النفس الأمارة** وتمنعه من الصعود إلى اللوامة .إنها لا تريد إنساناً متوازناً حكيماً، بل إنساناً منفعلاً سريع الاستجابة، لأنه أكثر ربحاً)الزراع، ص .78(

4.3.3 الحرية الموجهة :«وهم الاختيار»

أحد أخطر ما تفعله الخوارزميات أنها تخلق وهماً بالاختيار والحرية بينما هي توجّه السلوك بطرق خفية .المستخدم يعتقد أنه يختار بحرية المحتوى الذي يُشاهده والآراء التي يتبناها، لكن الدراسات تظهر أن الخوارزميات تخلق »فقاعات تصفية (Filter bubbles) تُعيد إنتاج نفس الأفكار والمعتقدات)الزراع، ص .55، 57(.

المستخدم »يُدار دون أن يشعر «— وهذا هو عكس الاستخلاف)الزراع، ص .57(.فالخليفة هو من يتحكم في أدواته، لا من تتحكم فيه أدواته.

4.4 الشيطان الرقمي وضلع القرينة

في النموذج الهرمي، الشيطان)القرين (هو القوة الخارجية التي تُقوّي ضلع الفجور وتُعيق ضلع التقوى .والخوارزمية في وظيفتها لا تختلف بنيوياً عن هذا الدور)الزراع، ص .42(.كلاهما يعمل على المبدأ ذاته:

- تحديد نقطة الضعف في النفس واستغلالها.

- عرض على النفس ما تشتهي لا ما تحتاج.
- إضعاف ضلع الانتقال من الأمارة إلى اللوامة — لأن اللوامة تبدأ بالصمت والمحاسبة، والخوارزمية مُصمَّمة لقتل الصمت.

لكن الفارق الجوهري أن القرآن أخبرنا عن الشيطان وحذّرنا منه وأعطانا آليات التعامل معه)الاستعاذة والذكر والصلاة(، بينما الخوارزمية جاءت تحت غطاء »الخدمة «و»التسهيل .«ولهذا تحديداً كان الشيطان الرقمي **أشد إيذاءً في بعض جوانبه** لأنه لا يُعلن عن نفسه، بل يُقدَّم كصديق وخادم (الزراع، ص .42).

4.5 العواقب النفسية :تشويه الهرم

4.5.1 على مستوى القاعدة الفطرية

— الخوارزمية لا تخلق فجوراً جديداً، لكنها تُحدث تغييراً في ميزان الفطرة)الزراع، ص .5، 42(.التقوى — التي تدفع إلى الخير والتحكم في النفس تضعف تدريجياً بسبب غياب التمرين، بينما الفجور يقوى بسبب التغذية المستمرة .الفطرة تبقى كما هي في جوهرها، لكن »وزن «كل ضلع يتغير.

4.5.2 على مستوى النفس الأمارة

النفس الأمارة تُصبح أكثر قوة واستبداداً .الإنسان الذي يقضي ساعات طويلة في التصفح والتطبيقات يُمرّن نفسه على الاستجابة الفورية لكل منبه، مما يضعف قدرته على **تأخير الإشباع** وتحمّل الإحباط — وهما شرطان أساسيان للارتقاء إلى اللوامة)الزراع، ص .42، 56(.

4.6 الشواهد العلمية :تأثير الخوارزمية على الدماغ

تشير الدراسات العصبية إلى أن الاستخدام المكثف للإنترنت والتطبيقات الرقمية يُحدث تغييرات في بنية الدماغ ووظائفه:

> **دراسة** :دراسة مشتركة لكلية الطب بجامعة هارفارد وأكسفورد وكينغز كوليدج لندن وجدت أدلة على أن الإنترنت يُقلّص حجم المادة الرمادية في الدماغ، ويُقصّر مدى الانتباه، ويُضعف الذاكرة، ويُشوّه العمليات المعرفية .)هارفارد–أكسفورد، 2026(

تشمل المناطق الدماغية المتأثرة:

- قدرات الانتباه :التدفق المستمر للمعلومات يُشجّع على التشتت بين مصادر متعددة.
- عمليات الذاكرة :الاعتماد على »الذاكرة الخارجية) «الإنترنت (يُضعف الذاكرة الداخلية.
- الإدراك الاجتماعي :قلة التفاعل المباشر تؤثر على القدرة على التعاطف وفهم الآخرين.

هذه التغيرات العصبية تتوافق مع ما يصفه النموذج الهرمي)الزراع، ص .39، 41(:إضعاف »قوة العقل «كأحد الأضلاع الأساسية، وإضعاف القدرة على التفكر والتدبر اللذين هما شرط اللوامة.

خلاصة الفصل 4.7

خلص هذا الفصل إلى أن الخوارزمية في رأسمالية المراقبة تؤدي وظيفة شبيهة بوظيفة »القرين «في التصور القرآني)الزراع، ص .42(:قوة خارجية تستغل نقاط الضعف الداخلية في النفس، وتوجّه السلوك بطرق خفية، وتُبقي الإنسان في مستوى النفس الأمارة .لكن القرآن أعطانا الوعي بوجود هذا القرين .«وأعطانا آليات التعامل معه، بينما الخوارزمية تعمل في الخفاء تحت غطاء »الخدمة

← الفصل الخامس :استعمار الانتباه — تحويل التجربة الإنسانية إلى مادة خام

الفصل الخامس

استعمار الانتباه

تحويل التجربة الإنسانية إلى »مادة خام «للبيانات

5.1 الانتباه بوصفه المورد الأثمن

في الاقتصاد الرقمي الجديد، أصبح الانتباه البشري هو المورد الأكثر ندرةً وقيمة .كل ثانية يقضيها المستخدم في التصفح، كل نقرة، كل تمريرة، كل لحظة توقف — تتحول إلى قيمة اقتصادية للشركات الكبرى .لكن الأمر يتجاوز مجرد »استغلال الوقت «إلى ما هو أعمق :تحويل التجربة الإنسانية نفسها إلى مادة خام تُستخرج وتُكرَّر وتُباع)الزراع، ص .55(.

استعمار الانتباه :قوة خارجية تحتل العقل البشري وتستخرج ثرواته)الانتباه والبيانات (وتُعيد تشكيل البنية التحتية للذات)العادات والرغبات (لخدمة مصالحها، دون اكتراث بالكيان الإنساني الأصيل.

5.2 من »المنتِج «إلى »المنتَج «و»السلعة «في آن

في الرأسمالية التقليدية، كان الإنسان منتِجاً ومستهلكاً .أما في رأسمالية المراقبة، فقد تحول الإنسان إلى منتِج وسلعة في آن واحد .هو يستهلك المحتوى ،لكنه في الوقت نفسه ينتج المادة الخام التي تُدر الأرباح :بياناته، سلوكه، انتباهه)الزراع، ص .55، 57(.

"في اقتصاد الانتباه، المستخدم ليس العميل، بل هو المنتَج .العميل الحقيقي هو المعلن الذي يشتري القدرة على الوصول إلى انتباه المستخدم"

— Tim Wu, The Attention Merchants (trad. fr.), 6. ص

هذا التحول له آثار عميقة على الكرامة الاستخلافية)الزراع، ص .55(.الخليفة لا يمكن أن يكون »سلعةً «تُباع وتُشترى .هو مكرَّمٌ، له غاية ورسالة. تحويله إلى مادة خام هو انتهاك صريح لهذه الكرامة

5.3 آليات استخراج التجربة الإنسانية

5.3.1 التتبع الشامل

كل حركة للمستخدم على الإنترنت تُسجَّل :المواقع التي يزورها، الوقت الذي يقضيه، ما يبحث عنه، ما يشتريه، ما يقرأ، وحتى ما يكتب ثم يحذفه. الهواتف الذكية تتعقب المواقع الجغرافية والنوم والحوارات الخاصة)الزراع، ص .57(.

"الهاتف الذكي هو جهاز تتبع متطور يرافقك في كل مكان، يجمع بيانات عنك أكثر مما تعرف عن نفسك"

— *Shoshana Zuboff, op. cit., ص 87.*

5.3.2 هندسة الانتباه

«التطبيقات والمواقع تُصمَّم بعناية لاستنزاف أكبر قدر ممكن من الوقت والانتباه، مستخدِمةً ما يُعرف بـ»أنماط التصميم المظلمة (Dark Patterns) (الزراع، ص 56.):

- الإشعارات اللانهائية (Push notifications) تخلق إحساساً مُصطنَعاً بالضرورة والاستعجال.
- التمرير اللانهائي (Infinite scroll) يُلغي الإشارات الطبيعية التي كانت تخبر المستخدم بضرورة التوقف.
- التوصيات المخصصة (Personalized recommendations) تُبقي المستخدم في حلقة مغلقة لا تنتهي.

5.3.3 التعديل السلوكي

البيانات لا تُستخدم فقط لفهم السلوك، بل **لتعديله**. الخوارزميات تُختبر باستمرار لتحديد أي المحتويات تطيل وقت التصفح. المستخدمون يخضعون لتجارب نفسية دائمة دون علمهم أو موافقتهم (الزراع، ص 57.).

"في رأسمالية المراقبة، البشر هم فئران تجارب في متاهة خوارزمية، والمتعة هي الجبنة التي تقودهم إلى مزيد من الاستغلال"

— *Yuval Noah Harari, Homo Deus (trad. fr.), ص 342.*

5.4 «بيع »اليقين السلوكي

ما تبيعه شركات التكنولوجيا ليس مجرد بيانات، بل «أحد أعمق المفاهيم التي قدمتها زوبوف هو (Behavioral surplus). »اليقين السلوكي **القدرة على التنبؤ بالسلوك بيقين عالٍ**. المعلن لا يشتري »فرصة «أن يرى المستخدم إعلانه، بل يشتري ضماناً أن المستخدم سيتصرف بطريقة معينة (Zuboff, 2019).

بيع اليقين السلوكي هو تجاوز خطير للحرية الإنسانية. فالخليفة الذي كُرِّم بالحرية والاختيار يصير موضوعاً للتنبؤ والتوجيه، أشبه بجسم فيزيائي يخضع لقوانين حتمية (الزراع، ص 55، 57.)

5.5 التجربة الإنسانية في ميزان الاستخلاف

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾

سورة الأحزاب: 72

الأمانة تشمل حرية الإنسان ومسؤوليته (الزراع، ص 55.). حين تُسلَب هذه الحرية عبر التوجيه الخفي يُنتهَك جوهر الأمانة. وحين تُحوَّل التجربة الإنسانية إلى سلعة يُنتهَك تكريم الإنسان.

استعمار الانتباه وتعطيل اللوامة 5.6

:استعمار الانتباه له تأثير مدمر على »النفس اللوامة«)الزراع، ص .56(.فاللوامة تحتاج إلى ثلاثة شروط أساسية لممارسة وظيفتها

4. **الصمت**: لتسمع صوتها الداخلي — وتقتله الإشعارات والضوضاء الرقمية المستمرة.

5. **الوقت**: للمحاسبة والمراجعة — يُستهلك بالكامل في التصفح، فلا يبقى وقت للمحاسبة.

6. **الحرية**: لاتخاذ القرارات بناءً على المراجعة — تُستبدَل بالتوجيه الخفي المبرمَج مسبقاً.

.والنتيجة :نفس تبقى في مستوى الأمارة، تغرق في الشهوات الآنية، دون أن تجد طريقاً إلى اللوامة التي توقظها وتدفعها إلى النمو)الزراع، ص .56(

خلاصة الفصل :الخوارزمية لا تهاجم اللوامة مباشرةً — بل تدمر شروطها الثلاثة :الصمت والوقت والحرية .وبدون هذه الشروط تصمت اللوامة، وتبقى الأمارة .سيدةً مطلقة على السلوك

← الفصل السادس :الفصام الأخلاقي الرقمي — أزمة العيش بين قيمتَين

الفصل السادس

الفصام الأخلاقي الرقمي

أزمة العيش بين معايير الوحي وقوانين الفضاء السيبراني المادية

6.1 «معنى »الفصام الأخلاقي

الفصام الأخلاقي ليس مرضاً نفسياً بالمعنى السريري، بل هو حالة من التمزق الوجودي يعيشها الإنسان حين يجد نفسه مضطراً للعيش وفق منظومتين قيميتين متناقضتين في آنٍ واحد)الزراع، ص .653(.إنه:

> *"الانحطاط الأخلاقي الذي يعكس حالة من الزيف النفسي يلبس فيها الإنسان أقنعة عدة، ليظهر بوجوه مختلفة تحقق مصالحه ويحرمها على الآخر"*
>
> *الزهراني، التحول الرقمي في الألفية الثالثة ـــ*

المسلم المعاصر يعيش هذه الحالة بشكل حاد)الزراع، ص .653(.فهو من جهة يحمل قيم الوحي)الأمانة، الصدق، الحياء، مراقبة الله(، ومن جهة أخرى يُجبَر على التعامل مع فضاء سيبراني صُمّم وفق قيم مادية بحتة)الربح، الاستهلاك، السرعة، الظهور .(الصراع بين هاتين المنظومتين لا يحدث على هامش الحياة بل في صميمها.

الفصام الأخلاقي الرقمي :التمزق الوجودي الناشئ عن العيش بين منظومتَي قيم متناقضتَين :قيم الوحي من جهة، وقوانين الفضاء السيبراني المادية من جهة أخرى .يُعطّل النفس اللوامة ويُضعف الضمير الإيماني ويُشتت المسؤولية.

6.2 الفضاء السيبراني :عالم بلا أخلاق متعالية

الفضاء السيبراني كما صُمِّم في بداياته كان يحلم بأن يكون فضاءً حراً للجميع .لكن هذه »الحرية «سرعان ما تحولت إلى فضاء بلا مسؤولية، حيث تختفي الحدود الأخلاقية التقليدية وتصبح قوانين السوق والمنفعة القوانين الوحيدة الحاكمة.

يمكن تحليل الخصائص البنيوية للفضاء السيبراني المولّدة لهذا الفصام:

أ ـــ السرعة :التدبر مقابل الآنية

الفضاء السيبراني يقوم على مبدأ »الآن «و»فوراً«، بينما يدعو القرآن إلى التأني والتدبر:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾

سورة النساء :82

ب — الكم :الإخلاص مقابل الإحصاء

:المهم في الفضاء السيبراني هو الكم — عدد المشاهدات والإعجابات والمتابعين — بينما يُركّز القرآن على الإخلاص وجودة العمل

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

سورة الملك :2

ج — الظهور :الحياء مقابل الشهرة

:الوجود الرقمي لا يتحقق إلا بالظهور، بينما تُكرم الإسلام خفاء العمل الصالح

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

سورة البقرة :271

د — التتبع :الحرمة مقابل الرصد

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

سورة الحجرات :12

هـ — الاستهلاك :العمارة مقابل الاستنزاف

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

سورة هود :61

مظاهر الفصام الأخلاقي الرقمي 6.3

انفصال السلوك عن المعتقد 6.3.1

أبسط مظاهر الفصام الأخلاقي الرقمي أن المسلم قد يؤمن بتحريم الغيبة، لكنه يشارك في نشر أخبار مسيئة دون تثبّت .قد يحافظ على صلاته، لكنه يقضي ساعات في مشاهدة محتوى لا يرتقي إلى مستوى قيمه .الفجوة بين ما يعتقد وما يفعل تتسع تدريجياً حتى يصبح الانفصال هو القاعدة)الزراع، 1957) (Festinger، لكنه هنا «التنافر المعرفي» (Cognitive dissonance) .هذا الانفصال له جذور فيما أسماه علماء النفس (ص .653(يتخذ بُعداً وجودياً — إنه ليس تناقضاً عابراً بل انقسامٌ في الذات نفسها

ثنائية «الحياة الواقعية» و«الحياة الافتراضية» 6.3.2

كثير من الناس يعيشون شخصيتين منفصلتين :شخصية في الواقع)رزينة، محتشمة، مسؤولة (وأخرى في الافتراضي)منطلقة، جريئة، غير مكترثة .(هذا الانفصام يؤدي إلى استنزاف نفسي هائل، لأن الحفاظ على الشخصيتين يتطلب طاقة كبيرة ويخلق شعوراً دائماً بعدم الأصالة)الزراع، ص .653(

> *"الإنسان في الفضاء السيبراني قد يتبنى قيماً وأخلاقاً تختلف تماماً عن تلك التي يتبناها في الواقع، مما يؤدي إلى ازدواجية في الشخصية ويعمق الفصام الأخلاقي لديه"*
>
> *الزهراني، التحول الرقمي في الألفية الثالثة)ص 653(—*

6.3.3 «أزمة »النية

في الأخلاق الإسلامية، النية هي معيار قبول الأعمال وجوهرها .لكن في الفضاء السيبراني، ما يهم هو النتيجة الظاهرة :كم مشاهداً وصلت، كم إعجاباً حصلت .هذا التحول من »النية «إلى »النتيجة «يقوّض أساس الأخلاق الإسلامية، ويجعل الفعل يفقد قيمته الداخلية لصالح قيمته السوقية .(الزراع، ص .653)

6.3.4 أزمة »الوقت «كأمانة

الوقت في الإسلام أمانة ومسؤولية يسأل عنها الإنسان يوم القيامة)رواه الترمذي(.لكن الفضاء السيبراني مُصمَّم لاستنزاف الوقت بلا وعي .المفارقة أن .الإنسان يشتكي من ضيق الوقت بينما يهدر ساعات في التصفح

6.4 جذور الفصام في الفلسفة الحديثة

.يمكن تتبع جذور الفصام الأخلاقي الرقمي إلى الفلسفات الحديثة التي فصلت بين »الحقيقة «و»القيمة«، وبين »العلم «و»الأخلاق«)الزراع، ص .عندما أعلن نيتشه »موت الإله«، لم يعد هناك معيار متعالٍ للحق والباطل، وأصبحت الأخلاق نسبية تخضع للأهواء والمصالح .(1015

> *"الحداثة قتلت المعايير المطلقة، لكنها لم تستطع أن تقدم معايير جديدة قادرة على إعطاء معنى للحياة"*
>
> *Gilles Lipovetsky, L'ère du vide، 45. ص —*

.الفضاء السيبراني هو التجسيد التقني لهذه الفلسفة)الزراع، ص .1015(:لا معايير ثابتة، لا حقائق مطلقة، كل شيء نسبي، كل شيء قابل للتغيير

6.5 الفصام الأخلاقي في ضوء النموذج الاستخلافي

6.5.1 تعطيل النفس اللوامة

النفس اللوامة هي »جهاز الإنذار الداخلي «الذي يوقظ الضمير حين يحدث انحراف بين المعتقد والسلوك)الزراع، ص .26، 27(.لكن حين يصبح ،هذا التناقض هو القاعدة، وحين يغيب الصمت والتأمل، تتعطل وظيفة اللوامة بالتدريج :يتوقف الإنسان عن لوم نفسه على التناقض، ويبدأ في تبريره .ثم في إنكاره، وأخيراً في قبوله كأمر طبيعي

6.5.2 ضعف »الأنا الأعلى «الإيماني

في السياق الإسلامي، هناك »ضمير إيماني «يستند إلى مراقبة الله واستحضار الآخرة .لكن الفصام الأخلاقي الرقمي يُضعف هذا الضمير، لأن :الإنسان يتعود على العيش في فضاء يشعر فيه بأنه »غير مرئي«، فيضعف شعوره بالرقابة الإلهية)الزراع، ص .653(

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ✦ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

سورة الشعراء :218–219

6.5.3 المسؤولية المشتتة

في الفضاء السيبراني، تتشتت المسؤولية :من المسؤول عن نشر الأخبار الكاذبة؟ عن تحريض الكراهية؟ يصعب تحديد المسؤولية، والإنسان يجد نفسه شريكاً في أفعال دون أن يشعر بثقلها .وهذا يتعارض مع مفهوم الاستخلاف الذي يقوم على تحمّل المسؤولية كاملةً)الزراع، ص .55(.

6.5.4 انهيار الاستخلاف الفردي

الاستخلاف يعني أن كل إنسان مسؤول مسؤولية فردية موحَّدة عن عمارة الأرض .الفصام الأخلاقي ينهار هذا المفهوم من القاعدة :حين يعيش الإنسان في فضاء لا معايير فيه، وحين تتعدد شخصياته وتتناقض، يصبح من المستحيل أن يكون »خليفةً «واحداً موحَّداً)الزراع، ص .653، 1015(.

6.6 الأرقام تتكلم :تداعيات الفصام الأخلاقي

دراسة :دراسة جامعة بيتسبرغ)2016(:(الشباب الذين يقضون أكثر من ساعتين يومياً على وسائل التواصل الاجتماعي هم أكثر عرضة للقلق والاكتئاب بنسبة 70%. (Primack et al., 2016)

دراسة :دراسة Microsoft Canada (2015): انخفاض معدل الانتباه البشري من 12 ثانية في عام 2000 إلى 8 ثوانٍ في 2020 — أقل من معدل انتباه السمكة الذهبية. (Microsoft Canada, 2015)

دراسة :دراسة جامعة ميشيغان)2011(:(انخفاض مستوى التعاطف بين طلاب الجامعات بنسبة 40 %خلال عشرين سنة، مع ارتباط هذا الانخفاض بزيادة الاستخدام الرقمي. (Konrath et al., 2011)

دراسة :تقرير Cigna (2020): 61% من الأمريكيين يشعرون بالوحدة رغم تنامي وسائل التواصل الرقمي. (Cigna, 2020)

هذه التداعيات تتوافق تماماً مع ما يحدث حين تُعطَّل النفس اللوامة ويُضعف ضلع التقوى في القاعدة الفطرية)الزراع، ص .5، 26، 27(.

6.7 كيف يواجه النموذج الاستخلافي الفصام الأخلاقي؟

يقدّم النموذج الاستخلافي خمس آليات متكاملة لمعالجة هذا الفصام:

6.7.1 إعادة مركزية »النية «كمعيار

الخطوة الأولى هي إعادة مركزية »النية .«في النموذج الاستخلافي، يُدرَّب الإنسان على أن يسأل نفسه قبل أي فعل رقمي :ما نيتي؟ لماذا أفعل هذا؟ هل يرضي الله؟ هذه الأسئلة تعيد ربط الفعل الرقمي بالمرجعية المتعالية، وتكسر الفصام بين المعتقد والسلوك)الزراع، ص .653(.يمكن تطبيقها عبر التوقف الواعي «لحظة قبل كل استخدام رقمي».

6.7.2 إعادة تأسيس »المراقبة «الذاتية

مفهوم »الإحسان «—— أن تعبد الله كأنك تراه —— هو الترياق المضاد للشعور بعدم المراقبة في الفضاء السيبراني)الزراع، ص .653(.تدريب النفس على استحضار هذه المراقبة حتى في أكثر اللحظات خصوصية على الإنترنت يعيد بناء الضمير الإيماني.

6.7.3 بناء »هوية رقمية استخلافية «موحدة

،بدلاً من الانفصام بين شخصيتين، يدعو النموذج الاستخلافي إلى بناء هوية رقمية موحدة تعكس قيم الإنسان في كل فضاء)الزراع، ص .653 ،عبر :تحديد أوقات الاستخدام والالتزام بها، واختيار المحتوى الذي يبني لا يهدم، والمشاركة الفاعلة في نشر القيم بدلاً من الاستهلاك السلبي (1015 .والشفافية مع الذات ورفض تبرير التناقضات

6.7.4 إعادة تأطير »الخصوصية «كأمانة

الخصوصية في النموذج الاستخلافي ليست مجرد »حق فردي«، بل هي جزء من الأمانة .الإنسان مؤتمن على أسراره وعلى أسرار الآخرين .إعادة تأطير الخصوصية بهذا الشكل تمنحها بُعداً أخلاقياً ووجودياً وتجعل حمايتها أولوية دينية)الزراع، ص .55(.

6.7.5 استعادة »الوقت «كرأس مال الاستخلاف

الوقت في النموذج الاستخلافي هو رأس المال الحقيقي للخليفة .الإنسان مسؤول عن كل لحظة قضاها .استعادة هذا المفهوم تجعله أكثر وعياً بكيفية قضاء وقته على الإنترنت، وأكثر قدرة على مقاومة آليات استنزاف الوقت)الزراع، ص .55، 56(.

خلاصة الجزء الثاني

في هذا الجزء، حللنا التحدي الرقمي من منظور استخلافي في ثلاثة مستويات متعمقة .في **الفصل الرابع**، رأينا كيف تعمل الخوارزميات ك»قرين رقمي «يستهدف النفس الأمارة ويفخّخ أضلاع الهرم النفسي)الزراع، ص .42، 56، 78(.وفي **الفصل الخامس**، كشفنا كيف يتحول الانتباه البشري إلى »مادة خام «تُستغل، وكيف يُباع »اليقين السلوكي «على حساب الحرية الإنسانية والكرامة الاستخلافية)الزراع، ص .55، 57(.وفي **الفصل السادس**، شخّصنا حالة »الفصام الأخلاقي الرقمي «التي يعيشها المسلم المعاصر بين معايير الوحي وقوانين الفضاء السيبراني المادية)الزراع، ص .653، 1015).

هذا التحليل ليس غاية في ذاته، بل هو مقدمة ضرورية للجزء الثالث، حيث ننتقل من **التشخيص** إلى **العلاج**، ونقدم آليات الاستعادة التي يقدمها النموذج الاستخلافي عبر بروتوكول TLRT لمواجهة هذا التحدي الوجودي.

← TLRT الجزء الثالث :بروتوكول التحول — نموذج

مراجع الجزء الثاني

أولاً :المصادر الإسلامية

القرآن الكريم .سورة ق)27(، سورة الشمس)8(، سورة الأحزاب)72(، سورة الشعراء)218–219(، سورة النساء)82(، سورة الملك)2(، سورة البقرة)271(، سورة الحجرات)12(، سورة هود)61(.

ابن القيم الجوزية) .د.ت .(.الشفاء العليل .دار الحديث، القاهرة] .ص 145[

الحديث النبوي» :لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه) «رواه الترمذي(.

الزراع، عبد السلام) .2023 .(علم النفس الاستخلافي :نموذج الأضلاع الثمانية]الأطروحة الاستخلافية .[الصفحات المستشهَد بها :5، 6، 26، 27، 39، 41، 42، 55، 56، 57، 78، 653، 1015.

ثانياً :المراجع الغربية

Alter, A. (2017). Irrésistible: La face cachée des nouvelles technologies. Penguin Press. [p. 10].

Carr, N. (2011). Internet rend-il bête? (trad. fr.). Éditions Robert Laffont.

Cigna. (2020). Loneliness and the workplace report.

Harari, Y. N. (2015). Homo Deus: Une brève histoire de l'avenir (trad. fr.). Éditions Albin Michel. [p. 342].

Konrath, S. et al. (2011). Changes in dispositional empathy among American college students over the last 30 years. University of Michigan.

Lipovetsky, G. (1983). L'ère du vide: Essais sur l'individualisme contemporain. Éditions Gallimard. [p. 45].

Microsoft Canada. (2015). Attention spans.

Primack, B. et al. (2016). Association between social media use and depression among young adults. University of Pittsburgh.

Wu, T. (2016). Les marchands d'attention (trad. fr.). Éditions La Découverte. [p. 6].

Zuboff, S. (2019). L'âge du capitalisme de surveillance (trad. fr.). Éditions Zulma. [pp. 8، 87].

ثالثاً :الدراسات والمقالات العربية

(التحول الرقمي في الألفية الثالثة). 2026. الزهراني، غادة. Independent Arabia. [ص 653].

(العبودية الرقمية وديكتاتورية الخوارزميات. موقع 180 Post. [ص 1015] .2026. السليم، عطاالله)

التريكي، محمد عادل) .د.ت .(.الوعي الرقمي :تأثير التكنولوجيا على الإنسان في عصر العولمة.